سفينة الشباب.. في الرياح العاصفة

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٨م

جرت عادةُ القرآن أنه يقارن بين الماضي والحاضر، أو بين النماذج السالفة وما هو مطلوب من هذه الأمة في الواقع الحاضر، فهو إن قصّ على سبيل المثال قَصصَ الرسل الذين بعثهم قبل النبي صلى الله عليه وسلم يصل الحديث بعد ذلك بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد، وتكون قصص الرسل السالفة بمثابة مقدمة يستفيد منها الرسول الحاضر، يثبِّت الله سبحانه وتعالى بقصصهم قلبه الشريف، ويضع أمام أعيننا تلك النماذج التي يهتدي بها أهل الإيمان.

وإن ذكر غيرَ الرسل عليهم الصلاة والسلام فنجده تارة يذكر المكذبين من الأمم السالفة ليقول للمكذبين والمنكرين في الوقت الحاضر: هذا مصيركم مثل مصيرهم، وستكون عاقبتكم مثل عواقبهم، وإن ذكر أهل الإيمان في الأمم السابقة نجده ينتقل مباشرة إلى الحديث عن أهل الإيمان في هذه الأمة، ليكون الماضي موصولاً بالحاضر.

وكلٌّ من قرأ القرآن الكريم يلاحظ هذه الملاحظة، فلا يورد القرآن شيئًا من الماضي إلا ليستثمره في الحاضر، وأردت أن أقتبس لحضراتكم في درس الجمعة هذا نموذجًا من النماذج القرآنية التي أورد فيها وصف مجموعة من أهل الإيمان ثبتت على الحق، ونجد كيف انتقل بعدها مباشرة إلى المجموعة الحاضرة في الأمة الإسلامية.

ونقرأ هذا النموذج في مقاطع من سورة الكهف، عندما حكى عن الفتية الشبابِ أصحابِ الكهف، ثم انتقل بعدها مباشرة ودون أي انقطاع إلى الفتية الشباب الذين كانوا ينشؤون تحت رعاية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والذي يقرأ القرآن دون أن يلاحظ مناسباته لن يستفيد فائدة تربوية، ولن يدرك أبعاد الخطاب الذي ينبغي أن يستقرّ في باطنه.

وعندما تقرؤون سورة من السور لاحظوا المناسبات في مقاطعها، فالقرآن لا يتحدث عن مجموعة متناثرة من الأفكار، ولا عن حبّات منتثرة من القصص، لكنه يضمّها في عقد فريد، فمَن فهم وفتح الله سبحانه وتعالى نوافذ قلبه يستطيع أن يدرك هذا العقد الفريد، ويستطيع أن يلاحظ المناسبات.

والموضوعُ الذي يعرضه القرآن في هذين النموذجين المرتبطين ارتباطًا وثيقًا في المضمونات نموذجٌ للشباب الذين توجهت قلوبهم إلى الله، وتمردوا على العادات، وتمردوا على الموروث الذي يتنافى مع مقاصد الدين، وتمردوا على الوثنية التي يُعبد فيها هوى النفس، وتُعبد فيها أهواء الأشخاص، فضلاً عن عبادة أوهام وخرافات...

ولا أعرض هذا النموذج من أجل أن أسرد سردًا تاريخيًّا، لا.. لكنني أعرض هذين النموذجين المرتبطين لأنني أرى اليوم أن السفينة التي يمتطيها شباب أمتنا تجري في رياح عاصفة، فالشاب يقرأ القرآن ويرتبط ببيئة القرآن، لكنه يعاني من مؤثرات كثيرة، وتُخلط الأوراق ويُغالَط في المفهومات.

وكم رأيت فيما رأيت مَن يستخدم مفهوماتٍ إسلاميةً وعناوين من القرآن، ويستعملها لحرب القرآن ولتدمير مضمونات القرآن!

وكم رأيت من يأخذ من القرآن مفهومَ برّ الوالدين على سبيل المثال ويُخاطب به الشاب ويقول له: إن الله تعالى فرض عليك برّ الوالدين، في نفس الوقت الذي يتلقى فيه هذا الشاب توجيهًا صارفًا عن القرآن وبيئةِ القرآن وأهل القرآن، ويقال له: ألست أنت الذي ترتبط بالقرآن؟ إذًا: فأطع أبويك.

فيضيع الشاب ولا يفهم ترتيب الأولويات، ويتوهم أن برّ الولدين يُلزمه طاعةً تتنافى مع طاعة الله وطاعة رسوله، وتتنافى مع أولويات تربيته، وتتنافى مع أولويات مقاصده، فيضيع.

وهذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، فمشكلات الشباب اليوم كثيرة، فينبغي على الشباب أن يطرحوا مشكلاتهم، وينبغي على أهل التربية أن يمارسوا دورهم في الإجابة على تلك التساؤلات، وإعادة ترتيب الأوراق ترتيبًا صحيحًا.

وأعود إلى ما كنت بدأت به وهو النموذجان اللذان وردا في سورة الكهف:

فبدأ بقصة الشباب الفتية من أصحاب الكهف، ثم أتى بعد ذلك مباشرة بخطاب يقول به للنبي صلى الله عليه وسلم: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الكهف: ٢٨] فلم يكن بين المقطع ذاك وهذا أيُّ فاصل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج فرأى هؤلاء الشباب مثل عمّار بن ياسر وصهيب الرومي كان يتبسم ويقول: **(الحمد لله الذي جعل في أمتي مَن أمرني أن أصبر نفسي معهم)**.

ولابد لنا من أن نستعرض استعراضًا عاجلاً بعضًا من هذين المقطعين في هذه السورة:

قال سبحانه وتعالى:

- { أَمْ حَسِبْتَ } فهو يربط من اللحظة الأولى الخطابَ الماضي بالحاضر بقوله: **"أَمْ حَسِبْتَ"**، فهو يخاطب سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ولا يقول: أخبِر عن أصحاب الكهف والرقيم، فالخطاب لمخاطَبٍ حاضر بقصة سالفة.

- { أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا } [الكهف: ٩]

وكان **الكهف** يمثل خصوصية المكان وطهارة البيئة، ولا يمكن لبيئةٍ تربويةٍ أن تمارس التربية الصحيحة السليمة من غير مكان فيه خصوصية وفيه بيئة طاهرة.

ثم ذكر **الرقيم** وهو: الكتاب المرقوم الذي كان من الكتب السماوية مثل المصحف، لكنه كان من الكتب السالفة، وهو يمثل المرجعية في المنهج.

إذًا: شبابٌ يريدون الارتقاء ولا يرتبطون بمكان فيه خصوصية وطهارة، ولا يوجد لديهم مرجعية في المنهج، لا قيمة لتربيتهم.

- { إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ } وقِفوا عند عبارة: **"أَوَى"** التي تقرؤونها في سورة الضحى حين كان الله سبحانه وتعالى يخاطب حبيبه صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى: ٦]، وهكذا كان بمنـــزلة الأب والأم، فالطفل يأوي إلى أمه وأبيه، لكنه حين يرى أن أمه وأباه أصبحا مما يتنافى مع الخصوصية التي تُرضي الله سبحانه وتعالى فإنه يأوي إلى الكهف.

وكم من الشباب الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وتركوا آباءهم!

وهذا خالد بن سعيد الشاب الصغير حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وانشرح قلبُه للإسلام، وسمع أبوه المشرك أن ابنه دخل في الإسلام، قال له الأب: لأمنعنك القوت، فأجابه الشاب: **"إن منعتني القوت فإن الله يرزقني ما أقتات به"**.

وهكذا تكون الأولويات مرتبة، فالأب – حتى وإن كان مشركًا - له منـــزلته ومكانته، لكن باعتبار الصحبة الدنيوية لا باعتبار تصدير الأفكار، قال تعالى: { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا } فالقرآن الذي يأمر ببرّ الوالدين وطاعتهما يقول: { فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } [لقمان: ١٥].

والصحبةُ في الدنيا هي أن يكون هذا الولد بين يدي أمه وأبيه في حالة الأدب وفي حالة البرّ المادّيّ، وأن يتحمل إيذاءهما، وأن يتحمل غضبهما، وأن يتحمل انفعالاتهما، لكن في تصدير المبادئ منهما لا يُعتبَر مستورِدًا، فالإسلام لا يريده أن يكون مستوردًا للأفكار، فأفكار الشاب مستوردةٌ من الرقيم ومن الكتاب الذي وجّه الله به البشرية، ووجّه به الأب والابن، ووجّه به الزوج والزوجة...

وهكذا قال القرآن: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } وها هنا يقول: { إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ } ، فكانت البيئة الطاهرة التي تحمل الخصوصية بمنـــزلة الأب والأم، لأنها كانت المأوى، والمأوى لا يكون إلا في رعايةٍ تماثل رعاية الأم والأب.

- { فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً } والرحمةُ الإكرامُ من الله تعالى والإنعام.

- { وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [الكهف: ١٠] أي: أرشِدنا إلى طريق سلامتنا، وإلى طريق ارتقائنا، وإلى طريق فلاحنا...

وبدأ القرآن يشرح أوصاف هذا النموذج الموصول بالنموذج في الحضرة المحمدية فقال:

١- { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ } : ولفظ **"الفتى"** لفظٌ ممتدَحٌ وَصَفَ الله به خليله إبراهيم فقال: { قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } [الأنبياء: ٦٠] وهو هاهنا يكرر لفظ الفتية: **"إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ"**، **"إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ"** لينبهنا إلى أنهم من الشباب.

{ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ } ظهرت فيهم فتوَّة ظاهرةٌ وباطنة وهمّة علّية، لكن هذه الفتوة لم تدفعهم ليكونوا مجرد خدم للدنيا أو خدم للهوى.

- { آمَنُوا بِرَبِّهِمْ } : وهكذا تجتمع الحيوية والفتوة مع الإيمان الذي يرحل فيه القلب إلى عالم الأنوار، ويصدّق بالواحد القهار.

ولما تحقق فيهم هذان الأمران: الفتوة والإيمان، جاءهم تأييدُ الله سبحانه وتعالى وإكرامه وإنعامه فقال:

٢- { وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف: ١٣] ولا تظنوا أيها الشباب أنكم تُقبلون على الله ويُعرِض عنكم، حاشاه، فقد قال: **(من تقرب إلي شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)**

إياكم أيها الشباب أن تظنوا أنكم تقدمون شيئًا من الحيوية والثقة واليقين ثم لا تجدون تأييدًا من الله سبحانه وتعالى، لا... فهذا محال في سنة الله سبحانه.

٣- { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } : فكان التأييد الأول بالهداية المعرفية، وكان التأييد الثاني بالتثبيت، حتى لا يتزعزع ولا يتزحزح عن توجهه إلى الله.

٤- { إِذْ قَامُوا } : في مجتمعٍ جاهليٍّ يعبد العادة، ويعبد الهوى، ويعبد الأشخاص... وقال: **"قَامُوا"** وليس القيام كالقعود، فالقيام: نهضةٌ فيها الحيوية، وهمّةٌ تجعل الإنسان حيًّا لا ميتًا، وحركةٌ فاعلة لا جمود متثلج...

- { فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } : وانظروا كيف يتناغم الشاب مع الكون.

فقد تكون متناقضًا مع الكون حين يكون معبودك هواك، أما السماوات والأرض فإنها مسبحةٌ لله طائعةٌ له مؤتمرةٌ بأمره، وحين يكون ربّك ربّ السماوات والأرض ستكون طائعًا كما أطاعت السماوات والأرض.

وما قال: **(ربنا الله)**، لكنه فصّل فقال: **"رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ"**، فنحن نتناغم مع الكون وننسجم معه لأن الكون كلّه مطيع لله، فلماذا نتمرد على الله، ولماذا نعصي؟

فالشمس طائعة لله، والقمر طائع لله، والهواء طائع لله، والسحاب طائع لله، والأشجار طائعة لله، والجبال طائعة لله، والأرض طائعة لله، والبراكين طائعة لله، وكلُّ ما حولنا طائعٌ لله... فلماذا نكون نشازًا بين هذا الكون المطيع بأسره لله؟!

وهكذا قالوا: { رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } فأعلنوا العبودية لله تبارك وتعالى وتبرؤوا من عبادة غيره، لأنهم أرادوا أن يكونوا منسجمين مع الكون الطائع لله سبحانه.

٥- { لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا } : وها هنا قضية دقيقة، فقد تكون **"لن ندعوَ"** بمعنى (لن نعبد)، وقد تكون بمعنى (لن ندعو إلى)، أي: لن ندعو في دعوتنا إلى غير الله.

إذًا: { لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا } تأتي بمعنى: (لن نعبد إلهًا دونه)، وتأتي بمعنى: (لن ندعو إلى إلهٍ دونه)، أي: لن ندعوَ إلى غير الله، فدعوتنا هي إلى الله، والشاهد على هذا قولُه تعالى وهو يحكي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ } [الجن: ١٩] أي يدعو إليه، فاللغة تفيد ذلك، أي: لما قام عبد الله يعبده، أو: لما قام عبد الله يدعو إلى الله.

٦- { لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا } [الكهف: ١٤] والشطَطُ: الغلوّ، وحينما ترفع من لا يستحق العبادة إلى رتبة العبادة تكون مغاليًا، وذلك حين تجعل أباك إلهك، وحين تجعل سلطانًا ما معبودًا لك وتجعله إلهًا، فتكون في شطط حين تجعل شهوتك وغريزتك ونفسك إلهًا، وعند ذلك تكون في الشطط والغلو.

إذًا: إنهم الشباب الذين: تمتعوا بالحيوية، وتحققوا بالإيمان، وقاموا فأعلنوا العبودية لله، وكانوا في منـــزلة الاعتدال، لأنهم لما تبرؤوا من الشطط علمنا أنهم في منـــزلة الاعتدال.

٧- { هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ } [الكهف: ١٥]

والسلطانُ البيّن: الحجةُ الواضحة، ولا يقول هذا إلا من امتلك الحجة، وهذا وصفٌ آخر يضيفه القرآن إلى الشبابِ الفتيةِ من أصحاب الكهف، فهم أصحاب الحجة الذين وقفوا بين المجتمع وقالوا: هاتوا حجتكم، وهاتوا برهانكم، نحن نملك الحجة، فأين حجتكم؟

فشبابٌ لا يملكون الحجة لا يستطيعون الدعوة إلى الله.

إذًا: هذه هي صفات الشباب:

إيمان، حيوية، قيام بالدعوة، إعلان عبودية، اعتدال، حجة...

وبعد ذلك يقول الله سبحانه:

٨- { وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ } : أي اعتزلتموهم واعتزلتم عبادتهم غيرَ الله، وهذا عنوانٌ جديد ووصفٌ يضاف إلى الشباب، وهو وصف المفاصلة، أي المفاصلة بين الحق والباطل.

وهي كقوله: { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } [التوبة: ١١٤].

وقوله: { قُلْ يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون: ١-٦].

إنها حالة المفاصلة بين الحق والباطل التي لا مهادنة ولا تنازلات فيها.

التنازلات السلوكية مسموحٌ بها، أما التنازلات المبدئية فهي ممنوعة.

إياك أن تكون ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

{ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [المائدة: ٤٩]

خذ القرآن جملة واحدة، وخذ الإسلام جملة واحدة..

- { فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ } وانظر تكرير لفظ الإيواء، وهكذا يرسِّخ القرآن مفهوم المأوى، لأنك حين لا تعود إلى المأوى سوف تبقى مشتتًا ومضطربًا، وحينما لا تأوي إلى المأوى الذي فيه الرحمة والسكينة، وفيه الأنوار وطهارة البيئة، ستبقى مضطربًا، وحين تضعف صلتك بالمأوى ستضعف.

ولماذا يخرج الشباب في العشر الأخير من رمضان شعلةً متوقدةً بالأنوار؟

لأنهم كانوا في المأوى.

٩- { يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } : أي يأتيكم التأييد بإكرام وإنعام واسع عريض.

١٠- { وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا } [الكهف: ١٦] أي يهيئ لكم ما ترتفقون به، أي ما يكون سبب رِفقٍ بكم.

الإسلام يقدم التيسير، والمجتمع والعادات والوثنية الجديدة تقدم التعسير.

الإسلام يقدم مرفقًا فتكون في حالة رفق، أما غير الإسلام فلا يقدم لك إلا العسر والعوائق.

وأخبر الله سبحانه وتعالى فقال: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة: ١٨٥] والمجتمع اليومَ يريد العسر، فعندما يريد الشباب الزواج يجدون في المجتمع العسر فيما يُطلب من الشاب.

يُراد للشاب أن ينحرف في أخلاقه، والـ "أنا" طاغيةٌ في المجتمع، ولا يُنظر إلى الظروف التي يعيشها الشباب، ولا يُنظر إلى أحوال الشباب، والغرائزُ تُثار، وتحليل الأخلاق يوجَّه إليهم من كل جانب، والذين يزعمون أنهم أهل الإسلام والإيمان هم أول المعسرين.

ينبغي أن يكون المهر مرتفعًا، وينبغي أن تكون العَرَبة، وينبغي أن يكون المسكن العريض الواسع، وينبغي أن تكون الهدايا الذهبية حاضرة...

ما كلُّ الناس يملكون الذهب، لكن المشكلة أن العقل قد ذهب، فأصبحنا عبّاد الذهب.

أما تشريع الزواج الذي فتح الله أبوابه ليكون طهارة للنفوس، فإنه يُقابَل في مجتمعنا هذا - الذي يزعم أهله أنهم أهل الإسلام – بالعسر.

ديننا دين يسر، ولا نجد في تشريعنا مفردةً واحدةً فيها العسر.

أيها الشباب، ليست المشكلة في الإسلام، إنما المشكلة في وثنية العادات، وعندما تجدون تلك الوثنية تحيط بكم أنصحكم أن تأوُوا إلى الكهف، فربما تجدون في الكهف المِرفق، وتجدون التيسير، وتجدون أسباب خروجكم من مأزقكم.

وبعد أن ينتهي المقطع الذي يفصل في قصصهم نجده يعرض مباشرة النموذج الذي كان مشابهًا لهذا النموذج (الفتية من أصحاب الكهف)، حيث يعرض النموذج الذي كان في حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو النموذج الحاضر في الأمة المحمدية في كل زمان، وذلك حين يقول:

* { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ } وها هنا **"يَدْعُونَ رَبَّهُمْ"** كما قلنا في الفتية: **"لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا"**، ويأتي المعنى: يعبدون ربهم، ويأتي أيضًا: يدعون إلى ربهم.

فإذا فهمنا معنى **"يَدْعُونَ رَبَّهُمْ"** مستأنسين ومستشهدين بما قدمناه من قوله تعالى: **{ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ }** عندها نفهم أن الشباب في النموذج الحاضر المحمدي يعبدون الله ويدعون إليه.

* { بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } وهو يشبه ويذكّر ما ذكره القرآن عن الداعية الرسول النبي نوح عليه الصلاة والسلام حين قال: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا } [نوح: ٥]، وها هنا يقول: { بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } .

* { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } فلا يريدون من خلال هذه النهضة إلا رضوان الله، ولا يريدون إلا لقاء الله، ولا يريدون إلا محو الأغيار، ابتغاء وجه الواحد القهار.

وهي تشبه المفردةَ التي مرت في فتية الكهف عندما قالوا: { رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } ، وها هنا قال: **{ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }** فهم يعلنون العبودية له وحده، لأنهم لا يريدون غيره.

* { وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } والله سبحانه يأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم الذي سماه رحمة بقوله: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧] أن يوجه نظر عينيه ورعاية قلبه إليهم.

وهكذا تتوجه الرحمة إلى هذا النموذج من الشباب في الأمة المحمدية، وهو يذكرنا بما مر معنا في فتية الكهف حين قال سبحانه: { يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } ، وها هنا تعتني الرحمة بهؤلاء الشباب.

فهناك تجانس في المعنى، إذ يقول هناك: { يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } وها هنا يقول: { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } وهو الرحمة صلى الله عليه وسلم.

* { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } إنها في معنى { وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } .

إنها المفاصلة.

إنها مفردات متكررة بألفاظ مختلفة، فالقرآن لا يكرر الألفاظ لكنه يكرر المعاني، من أجل أن ينبه إلى المجانسة في الوصف.

* { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨]

هناك قال: { لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا } أي: لو قلنا بما قال قومنا فسوف نكون في الشطط.

وها هنا يقول: { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } والشطط بمعنى الفُرُط، لأنه من الإفراط والتفريط.

فهناك المغالاة، وهنا الإفراط.

إذًا: هناك مجانسة في النموذجين لأن الوصف متكرر.

ولا أريد أن أستطرد كثيرًا، فارجعوا إلى الآيات واقرؤوها بإمعان وتأنٍّ ونظرٍ وتدبّر، من أجل أن تستمدوا أيها الشباب منهجكم، حتى تكون سفينتكم مستقرة مهما كانت الرياح عاصفة، وحتى تثبت لأن فيها: { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، وإذا كان الله هو الذي يربط على قلوبكم فسفينتكم لن تغرق أبدًا، لكن افهموا الأوصاف وتحققوا بها، فإن أنتم فهمتم هذه الأوصاف وتحققتم بها سوف تستقر سفينتكم مهما كانت الرياح عاصفة، وإذا لم تتحققوا بهذا الوصف، لا أظن إلا أن السفينة ستغرق.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.